دو فصلنامه مطالعات ادب اسلامی | نصف سنوية دراسات الأدب الإسلامي
دوره اول، شماره اول، پاییز و زمستان ۱۴۰۰ | السنة الأولى، العدد الأول، خريف وشتاء ۲۰۲۱

صدى القرآن الكريم في شعر محمد مفتاح الفيتوري

مهرداد آقائي[۱] (الأستاذ المشارك، جامعة المحقق الأردبيلي)
غلامعباس رضايي هفتادر (الأستاذ المشارك، جامعة طهران)
DOI: 10.34785/j022.2021.004

تاريخ دريافت: ۱۳۹۹/۰۹/۱۸ | تاريخ الوصول: ۲۰۲۰/۱۲/۰۸
تاريخ پذيرش: ۱۴۰۰/۰۸/۱۵ | صفحات: ۱۰۵-۱۱۷ | تاريخ القبـول: ۲۰۲۱/۱۱/۰۶

الملخص

إن القرآن الكريم مصدر أُمّ للمصادر العربية، وتتبيّن أهميته وقيمته عند موازنته بالكتب الأخرى و لا شك أن القرآن الكريم ومضامينه العالية من أهم روافد الشعر العربي، فاستلهم منه الشعراء الكثيرون من الموضوعات و الشخصيات التي كانت محورا لإنتاجاتهم الأدبية العظيمة التى اتخذت نصوصها من القرآن الكريم. التناص ظاهرة جديدة لمفهوم قديم ظهر إثر الدراسات اللسانية في الغرب، و له جذور عريق في الدراسات النقدية القديمة بتسميات و له مصطلحات مختلفة كالاقتباس و التضمين و الاستشهاد و المحاكاة و ماشابه ذلك في الدراسات الحديثة كتوظيف الأسطورة وغيرها. التناص القرآني يعتبر من التناص المباشر و من أبرز مصادر التجربة الشعرية في الشعر الحديث. هذا البحث معالجة في شعر الشاعر السودانى المعاصر«محمد مفتاح الفيتورى» للحصول و المعرفة على أبرز أشكال التناص القرآنى فى أشعاره التى تسمّى النصّ الحاضر و الآيات القرآنية التى استفاد الشاعر منها و تسمّى النصّ الغائب. و نستنتج من هذا البحث أنّ كل شعر عربى متأثر من القرآن الكريم مباشراً أو غير مباشر، و لو إدعى صاحب الشعر بأنّه لم يأخذ شيئاً من القرآن و هذا أمر مستحال.

الكلمات الرئيسة: القرآن الكريم، الشعر العربى الحديث، التناص، الفيتورى، السودان

پژواک‌های قرآنی در اشعار فیتوری شاعر سودانی

[۱] الكاتب المسؤول؛ البريد الإلكتروني: almehr55@yahoo.com

چکیده

قرآن کریم به عنوان یکی از منابع اصلی برای علوم زبان عربی و سایر منابع عربی است. اهمیت و ارزش قرآن زمانی بهتر مشخص می شود که با کتاب‌های دیگر مقایسه و برابری شود. بدون شک قرآن کریم با مضامین والای خود به عنوان راهبری مهم برای شاعران عرب بوده و بیشتر شاعران عرب از موضوعات قرآنی و شخصیت‌های مذکور در آن برای غنی‌تر ساختن آثار خود بهره برده‌اند. پدیده بینامتنی به عنوان یک پدیده نوظهور با مفهومی قدیمی به دنبال پژوهش‌های زبانشناسی در غرب به منصه ظهور رسید که دارای ریشه و اصالت عمیقی در پژوهش‌های نقد ادبی قدیم زبان عربی با نام‌ها و اصطلاحات مختلفی همچون اقتباس، تضمین، استتشهاد، محاکات، کاربست اسطوره و نام‌های مشابه آن بوده است. بینامتنی قرآنی از بارزترین منابع نمونه‌های شعری محمد مفتاح الفیتوری و از نوع بینامتنی مستقیم به شمار می‌آید. این پژوهش بر آن است که شعر محمد مفتاح فیتوری شاعر معاصر سودانی را با بررسی انواع بینامتنی قرآنی مورد واکاوی قرار دهد، شعر الهام گرفته از قرآن به عنوان متن حاضر و آیات به کار رفته در آن به عنوان متن غایب نامیده شده است. از این بحث نتیجه گرفته می‌شود که شعر فیتوری تحت تأثیر مستقیم و غیر مستقیم مضامین و واژگان قرآن بوده است.

واژگان کلیدی: قرآن کریم، شعر معاصرعربی، بینامتنیت، فیتوری، سودان.

۱– المقدمة

إن الحديث عن القرآن الكريم يلقي هيبة وتخوفا فى الإنسان، و بقدر هذه الهيبة والتخوف تتبيّن أهميته و قيمته و ضرورته و لا شك أن القرآن الكريم ومضامينه العالية من أهم روافد الشعر العربي، فاستلهم منه الشعراء الكثيرون من الموضوعات و الشخصيات التي كانت محورا لإنتاجاتهم الأدبية العظيمة. فنلاحظ عند البحث عن التناص الديني و مدى حضوره في أعمال الشعراء المعاصرين، إستلهام عدد غفير منهم من القرآن و إستدعاءهم الشخصيات القرآنية وذلك للتعبير عن معاناتهم، لأنهم وجدوا بينها وبين ما يجري في بلدهم تماثلا فاعتمدوا على هذه المفاهيم على سبيل التناص لإثراء نصهم الشعري. تعتمد عملية الإبداع على مجموعة من البنية اللغوية التي تتسرب من نص إلى آخر، عبر مراحل زمنية طويلة، وليست القصيدة المعاصرة، في بعض جوانبها، إلا مزيجا مما استقر في ذاكرة الشاعر المبدع من مخزونات ثقافية معرفية مختلفة المصادر.

۱–۱– خلفية البحث

لم يتطرق الدارسون في مجال التناص القرآنى إلى دراسة المضامين الدينية في شعر الشاعر الفيتورى،بل الذي تمت دراستها لحد الآن يدور موضوعه في مجال الحقل العام امثال: تأثير القرآن في الشعر المعاصر او التي يطرق اليه الباحثون يتمحور موضوعه على خصوص دراسة التناص فى الشعر الشعراء المعاصرين. وبإمكاننا أن نشير إلى عدد من الاعمال التي قد تمت دراستها وترتبط بالموضوع كما في التالي:

۱– مقالة «التناص القرآني في شعر غادة السمان» لشازاد كريم عثمان و لمياء ياسين حمزة.
۲– مقالة «التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر» للدكتور على سليمى وعبدالصاحب طهماسبي.
۳– مقالة«التناص القرآني في شعر جميل صدقى الزهاوى» للدكتور علىاكبر محسنى وعبدالصاحب طهماسبي.
٤– مقالة «التناص القرآنى فى شعر فدوى طوقان» للدكتور صادق سياحى و فرحان گل‌مغانى زاده.
٥– مقالة «التّناص القرآني في شعر سميح القاسم» لجعفر بهاء الدين و سميه حسن عليان.

٦- مقالة «التناصّ القرآني في شعر أحمد شوقي» لآمنه موسوي شجري و محمد حسن معصومى.

٧- رسالة الماجستير بعنوان: «التناص القرآني في أشعار احمد مطر» للسيد ماشاءالله واحدي.

٢- البحث

٢-١- التناص لغةً

التناص مصطلح نقدي حديث وافد من الغرب، فرض حضوره في مجمل الدراسات الغربية و العربية منها مؤخرا. و هو حديث الوفادة على المشرق العربي، و لقد اختلفت النظريات والمفاهيم و التفسيرات حوله باختلاف التيارات الفكرية و المدارس النقدية أساسا في الغرب. و قبل الحديث عن دلالة التناص في بعده الأدبي، يجدر بنا الكشف عن المرجعية اللغوية له، علما أن مفهوم التناص لغويا لا يسعفنا في التعرف إلى المعني الاصطلاحي بشكل حاسم.

التناص لفظاً يعود إلى جذره اللغوي (نصص) وقد أورد اصحاب المعاجم اللغوية مجموعة من المعاني تفسر هذا الجذر، فقد جاء في لسان العرب أن النص: «رفعك الشيء ،نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل ما قد أُظهِرَ فقد نُصَّ،و وُضِع علي المنصة، أي علي غاية الفضيحة و الشهرة. و قال عمرو بن دينار :ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهوي : اي ارفع له واسند ونص المتاع نصا: جعل بعضه علي بعض» (ابن منظور، ٢٠٠٥: ٣٩٣٠/٢). النص و التناص في اللغة يعني البلوغ و الاكتمال في الغاية كما قال الفيروزآبادي: «نص الحديث رفعه و ناقته استخرج ما عندها و منه فلان ينص أنفه غضبا و هو نصاص الانف و المتاع جعل بعضه فوق بعض و فلانا استقصي مسألته عن الشيء و العروس أقعدها علي المنصة بالكسر و هي ما ترفع عليه فانتصت و الشيء أظهره و الشواء ينص نصيصا صوت على النار، و القدر غلت ... واذا بلغ النساء نص الحقاق او الحقائق، فالعصبة أولي أي بلغن الغاية التي عقلن فيها أو قدرن فيها على الحقاق و هو الخصام» (الفيروزآبادى، ١٩٩٦: ٣١٩و٣٢٠).

٢-٢- التناص اصطلاحاً:

هل هناك نص أدبي يمكن اعتباره نصا مبتكرا خالصا، ام ان صاحب النص لا بد له أثناء بناء النص أن يدخل شذرات من نصوص أخري إلى نصه، أو ان يتشرّب نصه روائح نصوص أخري؟ فانطلاقاً من هذا التساؤل، قد شاع في نقدنا العربي الحديث مصطلحا «التناص» أو «تفاعل النصوص» أو ما

شابهما مما يدل على تداخل النصوص أو تعالقها معا، لكن قد يصعب تحديد مفهوم التناص و هو كباقي المفهومات يخضع للمنطلق الفكري لكل محدد له من النقاد و الدارسين و الذين أجمعوا على تغييب صاحب النص و الاحتفال بالنص و لاشيء غير النص.و اغلب هؤلاء إنطلقوا من أن التناص هو حوار النصوص فيما بينها. «و قد نقل محمد مفتاح بعض التعاريف لهذا المفهوم منها:١- إنه فسيفساء من نصوص أخري و أدمجت فيه بتقنيات مختلفة. ٢- أو إنه ممتص لها ، يجعلها من عندياته و بتصييرها منسجمة مع فضاء بنائه و مع مقاصده.٣- أو محول لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها و دلالتها أو بهدف تعضيدها. و التناص عملية من عمليات الاستماع والمثاقفة سواء عند المبدع أو عند الناقد الذي يكشف عن هذه الظاهرة عند اديب ما، و هي تمثّل مستوي من مستويات القراءة» (تحريشى، ٢٠٠٠: ٥٦).

و جاء فى تعريف آخر منه «فالتناص اذن هو تداخل النص – موضع الدراسة — مع نصوص أخرى قديمة أو معاصرة، بطريقة يتبين فيها قصد المبدع في الإفادة من النص السابق.و هو مختلف اختلافا كبيرا عن السرقة، و هي الاعتداء على نصوص الآخرين. بمعنى آخر، هو التفاعل الذي يحدث بين نص و آخر. أو هو علاقة حضور متزامن لنصين أو أكثر، داخل إطار نصي واحد، سواء حرفيا و تنصيصيا أو بالاشارة، كما في الاستشهاد أو التضمين، كأن يستشهد الكاتب ببيت من الشعر القديم أو بآيات من القرآن الكريم» (الخشاب، ١٩٩٤: ١٥). أو بالأحرى نقول: «إنّ التناص أساسه التفاعل و التشارك، و هذا يقتضي الحفظ و المعرفة السابقة بالنصوص السابقة، لأن النص يعتمد علي تحويل النصوص السابقة وتمثيلها بنص موحّد يجمع بين الحاضر والغائب وينسج بطريقة تتناسب وكل قاريء و مبدع» (السعدنى،١٩٩١: ٨).

۲-۳- التناص في الأدب العربى

لو عدنا إلى النقد العربي القديم، لوجدنا أن جذور مصطلح التناص تضرب في أعماق الموروثين العربيين النقدي و البلاغي مع ملاحظة الفوارق في ظروف النشأة، و الغايات و الاهداف التي أظهرت هذا المصطلح إلى الوجود، «ولن نقول إنّ النقد العربي القديم قد سبق النقد الغربي المعاصر في إستحداث هذا المصطلح و إستخدامه، فذلك ضرب من الجهل، ولكنّ النقد العربي القديم أشار إلى عدّة مصطلحات نقدية وبلاغية هي في حقيقتها أشكال متنوعة من أشكال التناص. ومن هذه المصطلحات: الاقتباس والتضمين والسرقة والمعاضة والمناقضة. وليست هذه المصطلحات إلا شكلاً

من أشكال التناص، و القاسم المشترك بينها و بين التناص هو فكرة إنتقال المعنى أو اللفظ أو كليهما، أو جزء منهما من نص إلى آخر ومن عمل أدبي إلى آخر مع اختلاف في المقصد والغاية» (طعمة حلبي، ٢٠٠٧: ٤٣).

يجرى التناص فى الأدب العربى غالباً ما فى الشعر حيث «يشكّل التناص في شعر الحداثة بنية فنية و جمالية عميقة الصلة بنسيج القصيدة و خيوطها الدلالية بأبعادها الذاتية و الإنسانية و إمتزاج أزمانها الثلاثة، الماضي و الحاضر و المستقبل و التي كانت بمثابة وسائل تحريضية أو حدّاً فاصلاً لموقف نفسي يريد الشاعر تحقيقه في المستقبل، فهي تكشف الواقع أو تستعيد الماضي أو تستبق الزمن الحاضر الي المستقبل كما يفعل الحلم الانساني في صنع مستقبل أفضل وأرقي» (رستم پورملکی، ١٣٨٤: ١٨).

دخلت ظاهرة التناص فى الأدب العربى من خلال الكتب المترجمة من الآثار الغربية بيد النقّاد و الأدباء المعاصرين، «لقد غدا حضور أشكال شتى من الموروث الانساني في الشعر العربي المعاصر سمة فنية ، يتسابق كثير من الشعراء المعاصرين إلى استخدامها وقد أطلق النقد العربي المعاصر على هذه الظاهرة مصطلح «التناص» و هو مصطلح نقدي جديد لم يعرفه النقد العربي المعاصر حتى فى زمن متأخر من القرن العشرين. فقد ارتبط هذا المصطلح بالمدارس النقدية الاجنبية و وفد الى النقد العربي المعاصر من خلال التواصل الثقافي والحضاري ، الذي اتسع مؤخرا بين الثقافة العربية والثقافات الاجنبية ، لكن ظاهرة التناص لها جذور عريقة في تراثنا البلاغي والنقدي القديم، إذ إن بعض المصطلحات النقدية العربية القديمة مثل: التضمين و الاقتباس و السرقة و المعارضة و المناقضة، تقترب إلى حد كبير من مصطلح التناص. هذا المصطلح قد ظهر إلى الوجود فعلاً علي يد «جوليا كرستيفا» في بحوثها التي كتبتها بين عامي (١٩٦٦ و ١٩٦٧) ومن ثمّ تبنته جماعة "تيل كيل[١]" النقدية، وانتشر بعد ذلك في المحافل النقدية بسرعة كبيرة» (طعمة حلبي، ٢٠٠٧: ٥). التناص إذن عند كرستيفا، «هو علاقة بين الخطاب في النص و بين خطابات محيطة و ملازمة، أكثر منه علاقة بين جمل معينة تقتبس او تنحل او تعارض في جمل اخري مساوية او مقاربة، في نص آخر و منذ ان اطلقت كرستيفا المصطلح شاع استخدام تعبير «التناص» حتى صار موضة في فرنسا على حد تعبير مارك انجينو الذي أرخ في مقال شامل لمفهوم التناص حتى مطلع الثمانينات» (الخشاب، ١٩٩٤: ١١).

١ جماعة "تيل كيل" الفرنسية نشأت في الستينيات وأصدرت مجلة لها بذات الاسم.

٢-٤- التناص الديني

التناص الديني يعني تداخل نصوص دينيّة مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن أو الحديث الشريف أو الخطب أو الاخبار الدينية مع النص الأصلي بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الشعري وتؤدي غرضاً فكريا أو فنيا أو كليهما معا. «إنّ عملية إستلهام القرآن الكريم في الشعر المعاصر ليست عملية إقتباس لنص من التراث، و إنما هي عملية تفجير لطاقات كامنة في هذا النص، يستكشفها شاعر بعد آخر، كلٌّ حسب موقفه الشعوري الراهن. ولعلّ هذا يوضّح لنا أن قراءة الشعراء المعاصرين للقرآن الكريم و تفاعلهم معه، في الوقت الذي تؤكد فيه ارتباطهم الصميم بالتراث، توضح لنا كذلك نوعية هذه العلاقة، وتميّزها عن النظرة التقليدية الي النص القرآني و طريقة تفهّمه والتفاعل معه. إنها قراءة أقل ما يقال فيها إنها أكثر عمقاً و تدبراً وأصالةً. ولعلّها القراءة السليمة التي تجعل نصوص القرآن حيّة نابضة في الضمائر علي الدوام، لا مجرد أصوات وكلمات مقيّدة الدلالة» (اسماعيل،٢٠٠٧: ٣٢).

٢-٥- محمد مفتاح الفيتوري

وُلد الفيتورى في عام ١٩٣٠م. من أم مصرية وأب سوداني، عاش في مدينة الإسكندرية و ترعرع في ربوعها. حفظ القرآن الكريم في الكتّاب و دخل الأزهر الشريف، كان همّه الفقر، فعاش في صراع مع الطبقة البرجوازية، فقد كان من الشعراء الذين تميّزوا بالرؤية الإنسانية الممتدّة، وبالعزيمة والتحدّي، لذا كانت قصائدة تناشد المساواة والحرية لجميع شعوب الأرض، وإستهدفت الخير للجميع، و رفض العبودية و الإستعمار (الباوى، ٢٠٠٥: ١٠٣).

ترك الفيتوري الجامعة قبل أن ينهي دارسته من رتابة فيها واتجه نحو العمل الصحفي هاربا الدروس وقوانين وقيود الجامعة والحقيقة أن عمله في الصحافة أمن له لقمة العيش وهو ما كان يبحث عنه. مارس الفيتوري أثناء إقامته في القاهرة العمل الصحفي وكتب الكثير من الدراسات الأدبية والسياسية والمقابلات في صحيفة الجمهورية,وبعد انتقاله الى السودان عام ١٩٥٨م. ترأس تحرير أكثر من مجلة وجريدة ومن أبرزها مجلة «الإذاعة والتلفزيون السودانية» وفي لبنان عمل محررا في مجلة «الأسبوع الأدبى» ومحررا فى جريدة بيروت وشارك فى إصدار مجلة «الديار» كما أسند إليه مهام رئيس تحرير مجلة «الثقافة العربية» الليبية (الفيتورى،٢٠١٣: ١٢). و في عام ١٩٤٨م. كتب أولى تجاربه الشعرية و هي قصيدة «إلى وجه أبيض» و نشر ديوانه الأول «أغاني إفريقيا» عام ١٩٥٥م . و من أعماله

الشعرية : أغاني إفريقيا، عاشق من إفريقيا، أذكريني يا إفريقيا، أحزان إفريقيا، معزوفة درويش، متجول، سولارا، البطل والثورة والمشنقة. يبدو أنه كان يعاني من ألم نفسي بسبب لون بشرته ودمامة خلقته وفقره الذي أضاف إليها طابع البوس والشقاء (الباوى، ٢٠٠٥: ١٠٣).

٢-٦- صدى القرآن الكريم في شعر الفيتوري

أنشد محمد مفتاح شعره في مجلدين يحتويان أشعاراً وطنية ونرى خلال شعره ما إهتمّ فيه بالقرآن والمضامين القرآنية، وهو كان من حفّاظ القرآن، ونسج أشعاره على إطار الآيات القرآنية متضمنة ألفاظها ومعانيها. و نذكر عدداً من قصائده التي وجدنا فيها أضواءً من القرآن المجيد. الشعر المتضمن للآيات القرآنية سمّى بالنص الحاضر والآية القرآنية الدالّة عليه سمّيت بالنص الغائب. قال الفيتورى في قصيدة «نحو الصباح »:

النص الحاضر: يا جنّةَ الخلد في مداه

وحوله تَفتَنُّ العيونا

إنّا عدمناک مُشتَهينا

كما إشتهيناک مُعدمينا... (الفيتورى، ١٩٧٩: ١٨٦/١).

يشير الفيتوري في هذه القصيدة إلى الجنّة التي أُخرج منها أبوانا آدم وحواء عليهما السلام لأجل أكلهما من الشجرة الممنوعة، ويقول الشاعر عن لسان آدم وحواء: نحن فقدنا الجنة لما تَوخّينا أن نأكل من الفاكهة الممنوعة و عندما خرجنا من الجنة وأصبحنا معدمين توخّينا الرجوع إليها. وجاء في الذكر الحكيم ما يشير إلى نفس القول:

النص الغائب: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة :٣٥)

وقال في قصيدة «إلى عينين غريبتين»:

النص الحاضر: مضى الإنسانُ الآخرُ فوق الريح

يحمل صلبانَ الموت على كتفيه مثل مسيح

من أجل الضعف أموت؟

بل من أجل القوة ؟ (المصدر نفسه: ٤١٣)

أشار الفيتوري في شعره هذا إلى قضية المسيح (ع) و وفاته، كما يظنّ بعض الناس أنه صُلِبَ و لكنّه ما صُلِبَ كما جاء في القرآن الحكيم :

النص الغائب: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء : ١٥٧)

ويقول في قصيدة «يوميات حاجّ إلى بيت الله الحرام»:

النص الحاضر: يموج بإسم الله

الحمدُ لک

الشكرُ لک

والمجدُ لک

والملکُ لک

يا واهبَ النعيمة يا مليکَ كل من ملک!

لبيّکَ لا شريکَ لک

لبيّک لا شريک لک... (نفس المصدر: ٤٨٧)

أشار الفيتوري هنا إلى موسم الحج ومناسكه، إذ الحجاج يهتفون بـ «**لبّيک اللهمّ لک لبّيک لا شريک لک لبيّک**»، وجاء في الذكر الحكيم:

النص الغائب: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران :٢٦)

وقال في قصيدة «كتابة منسيّة »:

النص الحاضر: أعلمُ أنّ الموتَ حقٌّ و الحياةَ باطلة

والمرء لا يعيش مهما عاش إلاّ ليموت

وكل صرخة مصبُّ نهرها السكوتُ

وأروعُ النجوم هاتيک التي

تُضيءُ دربَ القافلة... (نفس المصدر: ٥٤١)

تكلّم الشاعر في قصيدته عن الموت والحياة ومسيرة الإنسان لا بدّ إلى الموت، ويُذعن أنّ آخر كل شيء إلى الموت إلا الله تبارک وتعالى، وجاء في الذكر الكريم:

النص الغائب: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران :١٨٥)

وقال الشاعر في قصيدة سمّاها بـ «الدرويش»:

النص الحاضر: الدرويش كان يقول الله ربي

الله حيّ لايموت

كان يُحبّ اللهَ كان يتّقيه

في نفسه وفي ذويه

وكان يخشاه و يستحييه

مولاي!

لو أنک أبصرتَ جلال الله

لسارت الجبالُ من خلفک والمياه. (المصدر نفسه: ٥٥٠)

يذكر الشاعر صفات المؤمنين في صورة درويش هو أنموذج للمؤمن المتّقي، لأنه يحبّ الله ويتّقيه ويخشاه ويستحيي منه وقال في نهاية القصيدة : لوأصحبت مع الله تسير الجبال والمياه خلفک، كما كان شأن داود (ع) مع الجبال والطيور عند تسبيحه لله الواحد القهّار، وجاء في الذكر الحكيم:

النص الغائب: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٤٨و٤٩)

النص الغائب: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠)

النص الغائب: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإشْرَاقِ﴾ (ص: ١٧و١٨)

و قال في قصيدة اسمها «الآن يا شيخي»:

النص الحاضر: الآن يا شيخي نحن إثنان

أنت وأنا

يا ويلتا أغلَقَت الريحُ الدروبَ خلفنا

وإنقسم الإنسانُ شَطرينِ

كما لم يشأ الإنسان ... ؟ (المصدر نفسه: ٥٧٥)

أراد الشاعر من لفظة «شطرين» الشاكر والكافر، أو الحق والباطل، مشيراً إلى إبنى آدم (ع)، حيث صار قابيل باطلاً بقتل أخيه هابيل حقاً و هذا من سنن الحياة، بأن يكون الحق والباطل متخاصمينِ دائماً في كل الأزمنة. و قد جاء في الذكر الجليل:

النص الغائب: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان : ٣)

و قال الفيتورى في قصيدة «الوصايا القديمة» :

النص الحاضر: إرجعي يا بلادي إرجعي

إنهم يحملون الجنائز والموت في دمهم

يكتبون الوصايا القديمة

في فجوات العيون

إنّهم ميّتون... (المصدر نفسه: ١٣٨/٢)

أشار شاعر مرة أخرى إلى الموت الذى لا مفرّ للناس منه أينما كانوا. كما خاطب الله تعالى رسوله منذراً بالموت و قال عزّ وجلّ:

النص الغائب: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر: ٣١و٣١)

وقال في قصيدة «ثورة عمر المختار» :

النص الحاضر: إسمعوا أيها القوم

إنّ الصلاة فريضة

حقاً هذا صحيح ولكن

أيها المسلمون

الجهاد فريضة

أشهد لم يبقَ إلاّ الجهاد

وقال تعالى

يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم القتالُ

كما كُتِبَ على الذين من قبلكم

صدق الله، الله اكبر

وقال تعالى

ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة... (المصدر نفسه: ٣٢٧/٢)

تكلم الشاعر عن الصلاة والجهاد في سبيل الله، ولكنه أوجب الجهاد وفضّله على الصلاة، وقال «صحيح بأن الجهاد فرض ولكن لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»، هذا عجيب جدّاً، في البداية يقول شيئاً وفي النهاية يُنكره، كلامه عجيب جدّاً جدّاً. أراد الشاعر من قوله تبيين حالات المسلمين بأنهم يقولون ما لايفعلونه وقد تركوا الصلاة والجهاد ويهتفون دائماً في آذان الآخرين: الصلاةَ الصلاةَ، الجهادَ الجهادَ، وقد غلب النوم على أنفسهم وهم غافلون. وقال الله جلّ جلاله:

النص الغائب: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة : ٢٣٨)

النص الغائب: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة : ٢١٦)

لقد أخطأ شاعرنا الحافظ في هذه القصيدة وقال من قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال كما كتب على الذين من قبلكم» والحال ليس في القرآن آية مثل هذه الآية، ولكن هناك آية أخرى تُشبهها وهي:

النص الغائب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)

على الشاعر أن يدقق في قوله وما ينشده وعليه أن لايقع في الخطأ الكلامى بالنسبة إلى كلام الله تعالى من الآيات التى يستندّ بها. و قال شاعر في ختام قصيدته «لا تُلقوا بأنفسكم إلى التهلكة» وإقتبس هذه الآية من سورة البقرة:

النص الغائب: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)

الفيتوري شاعر كبير من قارة كبيرة، ولكنه لم يستطع أن يلقى ما في ضميره من الأفكار والآراء التي كانت ترتبط مع عقيدته، صحيح بأنّه مسلم وتربّى في أسرة دينية، ولكنه تأثّر من بيئته الملّوثة بالخرافات، و لم يقدر أن يُنجز آماله في طريق الشعر. هناك للشاعر بعض النزعات والأفكار والعقائد الشخصية التي تختلف عن الفكرة الإسلامية.

٤– الاستنتاج

نستنتج من هذا البحث أنّ الشعر العربي يحتوي بين دفتيه مضامين القرآن الكريم و نسمّيها التناص القرآني. و هناک رجال يدّعون أنّهم لم يتأثروا من القرآن الكريم والحقيقة غير ذلک، لأنّ القرآن ضوء من أضواء الرحمن و يجري في كل المجارى و يتسرّب بين ضلوع الكلم والأقوال لمن كان صاحب فكرة أو كلام يُلقيه باللغة العربية. فإذن يمكن القول إنّ فى كل كلام عربى أو في كل شعر عربي قد قيل بعد نزول القرآن الكريم شذراتٍ من القرآن الكريم لفظاً أو معنىً.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن منظور، جمال الدين. (٢٠٠٥). *لسان العرب*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

إسماعيل، عزالدين. (٢٠٠٧). *الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية*. بيروت: دار العودة.

الباوي، محمد محمود. (٢٠٠٥). *عمالقة الأدب العربي المعاصر*. بيروت: دار الأرقم.

تحريشي، محمد. (٢٠٠٠). *أدوات النص دراسة*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

حمود، محمد العبد. (١٩٩٦). *الحداثة في الشعر العربي المعاصر*. بيروت: الشركة العالمية للكتاب.

الخشاب، وليد. (١٩٩٤). *دراسات في تعدي النص*. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

رستم پور ملكي، رقية. (١٣٨٤ش). التناص الديني في شعر محمود درويش. *مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها*، ١ (٣).

السعدني، مصطفى. (١٩٩١). *التناص الشعري: قراءة أخرى لقضية السرقات*. القاهرة: دار المعارف.

طعمة حلبي، أحمد. (٢٠٠٧). *التناص بين النظرية والتطبيق*. دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

عبدالباقي، محمد فؤاد. (١٩٩٩). *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الفيتوري، محمد مفتاح. (١٩٧٩). *ديوان الفيتوري: المجلد الأول والثاني*. بيروت: دار العودة.

الفيتوري، محمد مفتاح. (٢٠١٣). شاعر إفريقيا السوداني محمد مفتاح الفيتوري. *مجلة إفريقيا قارتنا*، العدد الرابع، إبريل ٢٠١٣.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (١٩٩٦). *القاموس المحيط*. بيروت: دار الفكر.